المنـــاضِـــل

محمد علي الرباوي

قالوا عَنْهُ مُناضِلْ ،
يَحْمِلُ أتعابَ الشعْبِ ٱلْمُتَوَتِّرِ في صَدْرِهْ
يَحْلُمُ بِالْفَجْرِ يَرُشُّ غَلائِلَهُ بَيْنَ ضلوعِ
حَبيبَتِهِ السَّمْراءْ .

* * *

هٰذا الرَّجُلُ الثَّائِرُ ،
لَمْ أَكُ أَعْرِفُهُ عُضْواً عُضْواً ،
لكني ، بِالأَمْسِ قَرَأْتُ كثيراً عَنْهُ
سَمِعْتُ كثيراً عَنْهُ
لهذا اليومَ أُفَتِّشُ عَنْهُ
لأِذظراً فِي ٱللَّيْلِ كِتابَهْ ،
عَلِّي أَلْقىٰ مِصْباحاً يَدَوِيّاً مُنْدَسّاً بَيْنَ سُطورِهْ

* * *

قالوا عَنْهُ مُناضِلْ ،
هَا إِنِّي سَفْرٌ أبحثُ
في كلِّ مَحَطَّاتِ الوَطَنِ الظهارِبِ عَنْ ذاتِهْ .

* * *

مَرَّتْ خَيْلي بِبُيُوتِ ٱلْفُقَراءِ
طَرَقْتُ مَساءَ كُلَّ الأَبْوابِ ، وَلَكِنْ
كَانَ فُؤَادي يَسْمَعُ صَوْتاً يَتَكَرَّرُ بِاسْتِمْرَارٍ
وَيَقولُ بِنَبْرَتِهِ المَخْنوقَةِ :
« صاحِبُكَ الثّائِرُ ،
فِي غَبَشِ الصُّبْحِ ٱسْتَوْرَدَ أَجْنِحَةً
جَعَلَتْهُ يَمْخُرُ أَمْوَاجَ المجهولِ »
فَأَرْسَلْتُ عُيوني داخِلَ كُلِّ سُجونِ الوَطَنِ النّافِعِ
أَبْحَثُ عَنْهُ وَلٰكِنْ
كُلُّ سُجونِ الوَطَنِ المُحْتَلِّ تُرَدِّدُ :
« صَاحِبُكَ العَاشِقُ
قَدْ خَرَجَ اليَوْمَ مِنَ ٱلْمَعْلومِ إلى ٱلْمَجْهول »

* * *

قالوا عَنْهُ مُناضِل ،
وأَنا
مَا زِلْتُ أُفَتِّشُ عَنْهُ لِأَقْرَأَ فِي ٱللَّيْلِ كِتَابَهْ .

* * *

فِي مَطْلَعِ هذا اللَّيْلِ ٱبْتَلَعَتْني المَقْهى ،
أَخَذَتْني بَيْنَ كَراسيها عُصْفوراً يَبْحَثُ عَنْ سِكينٍ
كانَتْ عيني
تَتَصَفَّحُ كلَّ وُجُوهِ ٱلزُّبَناءْ ،
فَإِذا الرَّجُلُ الثَّائِرُ يَخْرُجُ
مِنْ دائِرَةِ المَجْهولِ إِلى دَائِرَةِ ٱلْمَعْلومِ الواسِعِ ،
مَقْعَدُهُ يَتَوَسَّطُ رُوّادَ المَقْهى . . .
لَمْ يَكُ يَقْرَأُ كُتُبَ الثَّوْرَةِ وَالعِشْقِ عَلَيْهِمْ ،
لَمْ يَكُ يُعْطيهِمْ دَرْساً
فِي حَمْلِ السَّيْفِ وَحَمْلِ الرَّشّاشِ وَحَمْلِ المِدْفَعْ ،
كَانَ يُنادِمُ قِنِّينَةَ خَمْرٍ مَعَ بَعْضِ الزُّبَناءِ ، لهذا
جَحَظَتْ عَيْنايَ ، تَحَوَّلَتا نَصْلَيْنِ انْغَرَسا فِي صَدْرِهْ .